العميل

# العباس بن عبد المطلب

رضي الله عنه

حالة واحدة فقط يحب الله فيها المرء بوجهين !

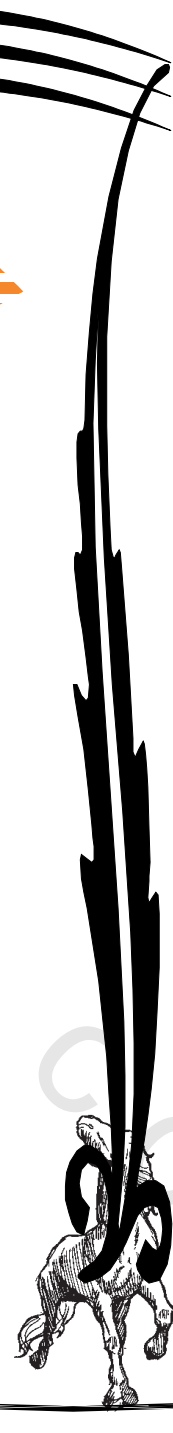

obeikandl.com

« يا معشر قريش، أنتم تجار وطريقكم على غفار.. وهذا رجل من رجالها ».

صاح بها العباس بن عبد المطلب وهو يجري تجاه أبي ذر الغفاري، والذي لم تمض دقائق على إعلان إسلامه أمام قريش، وما إن أعلنه أمام الناس، حتى انقضوا عليه ضربا حتى كادوا أن يقتلوه.

وبذكاء وبسرعة بديهة ، يعرف العباس ما هي الوسيلة السريعة الفعالة التي ستقنع المشركين بإنقاذ الرجل من أيديهم..

كان العباس يعلم أن كل ما يعني قريش التجارة، وليس الدين كما يزعمون..

كان يعرف أن المكانة والمال هو ما تحرص عليه قريش لا أي شيء آخر..

فكان أن نبههم إلى وضع قبيلة غفار الاستراتيجي بين مكة والمدينة، وقدرتها على قطع طريق التجارة، حيث تابع قائلا:

- إن يحرض قومه عليكم، يقطعوا على قوافلكم الطريق.

ونجحت الحيلة بسرعة مذهلة، فما إن سمع الرجال كلام العباس، حتى تسمرت أيديهم وتركوه خوفا على المال والمكانة.

ولقد كان من السهل أن يقتنع الناس بكلام العباس..

فالعباس- وهو ابن سيد قريش - كان ذا مكانة في قومه، بل بين قبائل العرب جميعا، وكل من يأتي إلى مكة في موسم الحج..

فالعباس كان هوالمسئول عن سقاية الحجاج ورعايتهم، وهو شرف كبير تعطيه مكانة رفيعة لا شك..

وزاد من مكانة العباس ذكاؤه وحكمته وخصاله الجميلة من الكرم والجود وصلة الرحم..

إلا أن شيئا في العباس كان دائما يقلق قريشا..

قربه للرسول ﷺ وصداقته الحميمة له بحكم قرابته له، وقربهما الشديد في السن..

فلقد كان العباس يكبر الرسول ﷺ بثلاث سنوات فقط.. وقضيا معا أيام الطفولة الجميلة...

وعند سن الثالثة والأربعين.. وجد العباس صديقه محمدا قد أصبح نبيا يوحى إليه..

وبمرور الوقت.. كان الشك يتلاعب في رأس قريش تجاه العباس..

لماذا لم يؤمن العباس بمحمد حتى الآن وهو عمه وصديقه الحميم منذ أيام الطفولة ؟! في الوقت الذي آمن به أناس لم يعرفوه يوما، بل ومن خارج مكة ؟!

وإلى متى يظل العباس يقف في المنطقة الوسط ؟ فلا هو يؤمن بمحمد ولا هو يشترك في مؤامرات قريش وعدائها له من قريب أو بعيد.

وفي السنة السابعة من البعثة، لم يكن غريبا لدى قريش أن يناصر العباس ابن أخيه في حصار استمر ثلاث سنوات ، ويتحمل معه ما لا يتحمله بشر، بدعوى القبلية.. لا غير..

إلا أنه وفي السنة الثانية عشرة من البعثة..

لم تعرف قريش أن العباس قد قام بدور مع الرسول ﷺ في اجتماع خطير ورهيب، عدته قريش نقطة الانطلاق الحقيقة لمحمد ﷺ في دعوته، وبداية التهديد الحقيقي لزعامتها بين العرب.

دور لو عرفته.. لزادت شكوكها أضعافا مضاعفة..

دوره في بيعة العقبة الثانية.

* * *

« من ذاك الرجل الذي يقف بجانب رسول الله ﷺ ؟ ».

همس بها أحد الأنصار الذين تجمعوا عند العقبة في السنة الثانية عشرة من البعثة، من بين ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين جاؤوا ليبايعوا الرسول ﷺ على نصرته..

ولم يكن هذا الرجل إلا عم النبي ﷺ.. العباس بن عبد المطلب..

فرغم خطورة هذا الاجتماع وسريته فلقد أخبر الرسول ﷺ عمه العباس بطبيعته ومكانه وموعده.

وبمجرد أن علم العباس بالأمر، حتى ساوره القلق على رسول الله ﷺ..

فسوف يخرج الرسول ﷺ من مكة، ليكون في جوار أناس لا يعرفهم سنوات وسنوات..

وأمام موجة القلق التى اعترته، أصر على أن يطمئن بنفسه على مدى اقتناع هؤلاء الأنصار بالرسول ﷺ ودعوته، ومدى قدرتهم على حمايته من بأس قريش والتصدي لمؤامراتهم.

ووقف العباس بكل يقظة وعيناه تحدق كعيني الصقر في وجوه الأنصار وهو يقول:

– يا معشر الخزرج، إن محمدا منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا فهو في عز من قومه ومنعة في بلده، وإنه أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم.. فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك.. وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد خروجه إليكم، فمن الآن.. فدعوه.

كان كلام العباس واضحا وصريحا..

ويضع على عاتق الأنصار مسئولية كبيرة..إن استطاعوا أن يحملوها فنعم، وإن لم يستطيعوا فليتركوه لأهله يمنعوه..

كانت مهمة العباس أن يوضح الأمور للأنصار توضيحا شديدا؛ خشية أن يكون الأمر حماسة شباب تنقصه الخبرة والحكمة ودراية الأمور ..

إلا أن العباس لم يكتف بذلك..

فذكاؤه وفطنته جعلاه يدرك أن المواجهات العسكرية قادمة بلا شك..

فإذا به يسأل الأنصار عن الحرب وكيف يعرفونها ومدى استعدادهم لها قائلا:

- صفوا لي الحرب، كيف تقاتلون عدوكم ؟

ويفهم الأنصار رسالة العباس، ويقف من بينهم عبد الله بن عمرو بن حرام مجيبا على السؤال قائلا:

- نحن والله أهل الحرب.. غذينا بها، ومرنا عليها، وورثناها عن آبائنا كابرا عن كابر.. نرمي بالنبل حتى تفنى.. ثم نطاعن بالرماح حتى تنكسر.. ثم نمشي بالسيوف، فنضارب بها حتى يموت الأعجل منا أو من عدونا.

كان كلام عبد الله بن عمرو مطمئنا للعباس إلى حد كبير، مما جعل أساريره تنفرج قليلا وهو يقول:

- أنتم أصحاب حرب إذن، فهل فيكم دروع؟

قال عبد الله في حزم:

- نعم.. لدينا دروع.

زاد اطمئنان العباس واستمر في حواره الرائع مع الأنصار، حتى اطمئن تماما على مصير الرسول ﷺ وسط أنصاره الجدد..

وفي اليوم التالي، انكشف الأمر لقريش، وما فعله الرسول ﷺ وأنصار المدينة.

لكن لم ينكشف لهم ما فعله العباس..

إلا أن الشك لا زال يكبر ويكبر..

إلى أن جاءت اللحظة التي لابد أن تنكشف فيها الحقيقة حتما ..

موقعة بدر.

* * *

بقدوم شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة، كان المسلمون على موعد مع أول مواجهة مباغتة من قريش..

غزوة بدر..

وبينما تعد قريش للغزوة وترقب نتائجها، كان هناك من ينظر بطرف عينيه للعباس بن عبد المطلب..

هل سيخرج العباس لقتال محمد في أول مواجهة عسكرية بينه وبين قريش ؟

أم أنه سيعتذر ويتعلل ؟

هل سيواجه العباس ابن عمه ليثبت ولاءه لقريش ودينها ؟ أم ستصدق الشكوك التي ساورت قريشا تجاهه طيلة أربعة عشر عاما؟

ويتوتر العباس، وتتأزم الأمور حوله..

ماذا يفعل في هذا المأزق ؟

ماذا يقول لقريش إذا لم يخرج ؟ وهل ستصدقه قريش فعلا ؟

وإذا خرج.. فكيف يحارب رسول الله ﷺ وهو على دينه ؟

نعم على دينه..

لقد كان العباس مسلما منذ زمن، ولكنه كان يخفي إسلامه ويعيش بمكة باتفاق بينه وبين رسول الله ﷺ لا يعرفه سواهما..

وهو سر كانت تعرفه أم الفضل زوجته ، والتي أسلمت معه، ومعهما خادمه أبو رافع الذي قال يوما:

« كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد دخل أهل البيت، فأسلم العباس، وأسلمت أم الفضل، وأسلمت... وكان العباس يكتم إسلامه».

إذن لقد كان العباس مسلما بالفعل..

والآن.. يقف العباس في حيرة من أمره..

ماذا يفعل؟

وبعد تفكير طويل..أخذ العباس قراره الصعب..

الخروج مع قريش لقتال محمد في بدر..

ويا له من قرار.

يصل النبأ إلى رسول الله ﷺ، وبسرعة يتوجه الرسول ﷺ إلى المسلمين ليلقي تصريحا مهما وخطيرا قائلا:

« إني عرفت أن رجالا من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقى منكم أحدا منهم فلا يقتله، ومن لقى أبا البحتري بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله، فإنه إنما أخرج مستكرها».

ويخرج المسلمون للقتال، وفي مخيلتهم مئات الصور التي يتمنون أن تصلها سيوفهم فيقطعوا رقابها..

إلا اثنين..

أبا البحتري بن هشام والعباس بن عبد المطلب..

ويقف العباس في المعركة كالصنم لا يتحرك، ولا يريد أن يتحرك..

حتى يلقاه أبواليسر أحد الصحابة المقاتلين، وقد بدا في حزن شديد حتى سقطت الدموع من عينيه فقال له في حنق:

- جزاك الله من ذي رحم شرا، أتقاتل ابن أخيك مع عدوه.

قال العباس في خجل ممزوج بالقلق والخوف على رسول الله ﷺ:

- ما فعل ؟ وهل أصابه القتل ؟

قال أبواليسر في حزم:

- اللـه أعز له وأنصر من ذلك.

قال العباس: ما تريد مني؟

قال أبواليسر وهو يمد يده له ليوثقه:

- أسرك، فإن رسول الله ﷺ نهى عن قتلك.

وانتصر الرسول ﷺ.. وأسر العباس..

وعلم الرسول ﷺ بأسره..

كان أمرا في غاية الصعوبة على الرسول ﷺ.. لقد أسر العباس عمه وصديقه وحبيبه..

كان الرسول ﷺ يحبه ويحترمه كأنه والده.. حتى أنه كان يقول عنه:

- إنه بعض آبائي !

وكان يقول عنه:

- إن العباس مني وأنا منه.

لم ينم الرسول ﷺ في ليلته هذه، وظهر القلق عليه إلى الحد الذي سأله فيه أحد المسلمين عما يقلقه، فقال في حزن:

« سمعت أنين العباس في وثاقه».

وما أن انتهى الرسول ﷺ من كلامه، حتى ذهب الصحابي إلى العباس ليخفف وثاقه، لعله يخفف شيئا من قلق الرسول ﷺ عليه..

و يأتي الرجل إلى الرسول ﷺ لينبئه بأنه قد فك وثاق عمه العباس قائلا :

- يا رسول الله ﷺ.. إني أرخيت من وثاق العباس شيئا.

فينظر إليه الرسول ﷺ ببعض الارتياح قائلا له:



obeikandl.com

« اذهب.. فافعل ذلك بالأسرى جميعا».

رغم حب الرسول ﷺ الشديد لعباس، إلا أن رسالته العادلة، كانت تأبى عليه أن يميزه على غيره، ويذهب إليه الرسول ﷺ ليعرض عليه عرضا ينجيه من الأسر ويعود به إلى بلده مكة.

الفدية..

ويطلب الرسول ﷺ منه أن يفدي نفسه وابن أخيه، نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وعقيل ابن أبي طالب بن عبد المطلب، وحليفه عتبة بن عمرو بن جحدم أخو بني الحارث بن فهر..

ويعود العباس إلى مكة..وبمرور الوقت.. يضيق العباس بحاله وبسره..

ويشعر أنه يعيش غريبا في بلده..فكان قراره الأخير..الهجرة إلى المدينة..

وبينما هو في طريقه إلى المدينة في السنة الثامنة من الهجرة، فوجئ بجيش جرار يتجه إلى مكة..

ولم يكن هذا الجيش الجرار إلا جيش الرسول ﷺ..

لقد جاء الرسول ﷺ ليفتح مكة..

* * *

يدخل الرسول ﷺ والمسلمون مكة فاتحين بجيش عظيم، يذهل كل قادة قريش ويقطع كل تفكير في أي محاولة للمواجهة..

الآن أيقنت قريش بما لا يدع مجالا للشك أنها قد هزمت في حربها الطويلة مع محمد.

كما أيقنت تماما أنها خدعت في العباس بن عبد المطلب..

لقد زال الشك تماما بعد أن أعلن العباس إسلامه.

ويعود العباس مع الرسول ﷺ والصحابة إلى المدينة، ليكمل رحلة الجهاد ، وكله شوق لأن يشارك بكل قوته في إتمام المسيرة..

وفي نفس عام فتح مكة، وهو في عامه الحادي والستين ،تظهر أول بطولة للعباس..

في غزوة حنين.

* * *

لم تتحمل بعض قبائل الجزيرة العربية أن ترى الرسول ﷺ وهو ينتصر ذلك الانتصار المبهر في مكة.. وقادها حقدها وغباؤها أن تتجمع لتحارب الرسول ﷺ في حنين..

واجتمعت قبائل هوازن وثقيف وآخرون ليلتقوا بجيش قوامه اثنا عشر ألفا.

لأول مرة يكون جيش المسلمين بهذا العدد الضخم..

ولأول مرة يصيب الفخر والزهوالمسلمين ويشعرون أن النصر آت لا محالة.. بعد أن رأوا قوتهم العسكرية الكبيرة.

فقال بعضهم في فخر..

- لن نغلب اليوم من قلة.

ولقد جاء الدرس بأسرع مما يتصور المسلمون.. فلقد فاجأ المشركون جيش المسلمين بمفاجأة غير متوقعة..

فبينما كان المسلمون مجتمعين في أحد أودية تهامة ينتظرون مجيء عدوهم، كان المشركون قد سبقوهم إلى الوادي وكمنوا لهم في شعابه وأنحائه، شاحذين أسلحتهم، ممسكين زمام المبادرة بأيديهم..

وعلى حين غفلة، انقضوا على المسلمين في مفاجأة مذهلة، جعلتهم يهرعون بعيدا، لا يلوي أحد على أحد..

وينزل قول الله تعالى:

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٥].

وارتبك الصف المسلم ارتباكا شديدا، ورأى الرسول ﷺ ما حدث من تفرق، فوقف ونادى بأعلى صوته لتجميعهم:

« إلى أين أيها الناس؟هلموا إلي..أنا النبي لا كذب..أنا ابن عبد المطلب»..

لم يكن حول النبى ﷺ ساعتها سوى أبي بكر، وعمر، وعلى بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وولده الفضل بن العباس، وجعفر بن الحارث، وربيعة بن الحارث، وأسامة بن زيد، وأيمن بن عبيد، وقلة أخرى من الأصحاب.

ونظر الرسول ﷺ فوجد العباس فأمره أن ينادي في الناس بأعلى صوته..

وبسرعة.. وبكل ما أوتي العباس ذوالحادي وستين عاما من قوة يصرخ الرجل في الناس قائلا:

- يا معشر الأنصار..يا أصحاب البيعة...

وكان لحماس العباس أثره الكبير والسريع في تجميع المسلمين حوله وحول الرسول ﷺ مرة أخرى، فأخذ المسلمون يتوافدون مرة أخرى وهم يقولون:

- لبيك.. لبيك.

وترتفع الروح المعنوية للمسلمين، بعد أن أدركوا خطأهم الفادح في الاعتماد على قوتهم دون الارتكان إلى نصر الله..

وانطلق المسلمون كالإعصار الهادر على المشركين.. ويصيح الرسول ﷺ:

« الآن حمي الوطيس ».

وانقلبت المعركة انقلابا كبيرا.. وتساقط العشرات والمئات من قبائل المشركين، وأنزل الله سكينته على المؤمنين..

وفرح المسلمون بنصر الله.

كان هذا أول نصر يشارك فيه العباس مع المسلمين، تبعه النصر المؤزر في تبوك على الروم بعده بعام واحد..

وبعدها بأقل من عامين، توقفت انتصارات العباس مع الرسول ﷺ..

فلم يكن ممكنا أن يشارك العباس الرسول ﷺ بعد ذلك في غزوة.

فلقد مات الرسول ﷺ.

* * *

من الصعب أن نصف حزن رجل كالعباس على وفاة الرسول ﷺ...

لقد مات الصاحب والرفيق والقريب والنبي ﷺ..

مات أعز الناس وأغلى الناس..

ليكمل العباس مسيرته مع خلفاء رسول الله ﷺ .. مع أبي بكر وعمر بن الخطاب.

ولقد كانوا يقدرونه تقديرا كبيرا، حتى إنهم كان يتضرعون إلى الله بالعباس لينزل المطر..

ففى عهد عمر بن الخطاب، وبالتحديد في أواخر عام ١٧هجرية أصاب البلاد قحط شديد بعد أن نضب المطر، وكانت البلاد على وشك المجاعة..

وسمي هذا العام..عام الرمادة.

وعندها خرج عمر بن الخطاب والمسلمون إلى الشوارع ليصلوا صلاة الاستسقاء ويتضرعون إلى الله بالدعاء..

ووقف عمر وهو يمسك يمين العباس بيمينه وهو يقول في خشوع:

- اللهم إنا كنا نستسقي بنبيك ﷺ وهو بيننا..

اللهم وإنا اليوم نستسقي بعم نبيك ﷺ فاسقنا.

واستمر عمر والمسلمون في تضرعهم، إلى أن استجاب الله لهم وهطل المطر..

وعندها كبر المسلمون وهرعوا إلى العباس يهنئونه ويقبلوه ويتباركون به وهم يقولون:

- هنيئا لك..يا ساقي الحرمين..

لقد كان العباس يسقي الحجاج..وهوالآن يتضرع إلى الله ليسقي المسلمين في عام الرمادة.

لقد كان العباس منذ نشأته رمزا للجود والخير.. حتى في أولاده..

فلقد جاد على المسلمين بحبر الأمة وترجمان القرآن ونابغة العلم..ابنه عبد الله بن عباس.

وقد كتب الله على هذا الكرم.. أن يتوقف في يوم الجمعة، الرابع عشر من رجب عام اثنين وثلاثين من الهجرة، وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان، وعن عمر يناهز ثمانية وثمانين عاما.

عندما خرج أحدهم ينادي في الناس:

- رحم الله من شهد العباس بن عبد المطلب.

فلقد مات العباس..

وخرج الناس يشيعونه في أعداد لم تشهد المدينة مثلها..

وتحث ثرى البقيع.. سكن العباس تماما..

هدأ أبوالفضل.. وصاحب الفضل.

وهو على موعد مع فضل لم يتخيله..

مع مالك السموات والأرض .

* * *

obeikandl.com

## دروس وتحليل

**١- ليس كل من لا يؤمن بالإسلام يعاديه، وليس كل من لا يلتزم بالإسلام لا يرغب فى نصرته، أو يستطيع أن يؤدى دورا في نصرته ( العباس بن عبد المطلب ينصر أبا ذر الغفاري ويخلصه من إيذاء قريش وهو غير مسلم ) .**

من الصعب ومن غير المنطقى أن نصف كل من لا يؤمن بالإسلام بأنه ضد الإسلام وأنه يكرهه ويتآمر عليه وعلى أهله، ومن الصعب ومن غير المنطقى أن نصف الغرب كله دفعة واحدة دون استثناء بأنه يكره الإسلام والمسلمين. هذا التصور يرفضه الواقع ومن الممكن أن يستوعبه العقل إذا ما استطعنا أن نفصل بين الحكومات والشعوب.

وليس كل شخص مسلم لا يلتزم بالإسلام لا يريد للإسلام أن يسود، فأي انتخابات يشترك فيها إسلاميون غالبا ما تحسم لصالحهم إذا ما ترك للشعب حرية الاختيار، فهل كان كل من اختار الإسلام - وهو يعلم ما يعني أن يطبق الإسلام - ملتزما بالإسلام؟!

ليس هذا فحسب..فغير الملتزم بالإسلام من الممكن أن يوظف في خدمة الإسلام والرفع من شأنه كل في مجاله.

إن الإسلام دين حق ورحمة وعدل وهى خصال تجعل المشاعر الإنسانية تتجه إليه وتتعاطف مع أهله إذا ظلموا، وتنصرهم إذا احتاجوا إلى نصرته.

إنها قدرة الإسلام العبقرية على استيعاب النفوس واحتوائها وفتح قنوات مع الجميع دون خسارة أحد.

إنه دين التعايش الذي يريد أن يستنهض همم الجميع، ويستحث نفوسهم نحو القيم النبيلة السامية بغض النظر عن إيمانهم به، أو حتى التزام المسلمين بالإسلام.

وعندما يعادي أحد الإسلام سيظهر عداؤه بوضوح، ولكننا سنخسر إذا ما صنفنا غير المسلم أو غير الملتزم بالإسلام أو حتى من ينتقد تصرفات بعض الملتزمين بأنه ضد الإسلام دون تحقق من الأمر. فربما يكون هذا الشخص أكثر إفادة للإسلام من غيره.. وفي السيرة النبوية الشريفة .. مواقف ليست قليلة تشهد بذلك.

**٢- من أدوات الإقناع في الحوار أن تخاطب من تريد إقناعه باللغة التى يفهمها، وبالمبادئ التى يحترمها ( العباس يحذر قريشا من تعرض مصالحهم التجارية للخطر إذا ما استمروا في إيذاء أبي ذر الغفاري ) .**

كان من ذكاء العباس أن خاطب قريشا باللغة التى يفهمونها.. وهى لغة المصالح، فكانت أقصر الطرق وأكثرها إقناعا بما يريد، وهو مبدأ إسلامى في إقناع الناس ( خاطبوا الناس على قدر عقولهم ).. أي خاطبوا الناس بالطريقة التي تناسب تفكيرهم وتقاليدهم ومبادئهم.

إنها قاعدة جميلة في الحوار الناجح، فبها ستكون قادرا على إقناع الآخر بفكرتك كلما كنت قادرا على فهم شخصيته وطريقة تفكيره والمبادئ التى يعتقدها، وسيتأزم الحوار عندما تتعالى عليه، فتحدثه بألفاظ ومستوى لا يفهمه، أو تحدثه في مساحات لا يؤمن بها، فيتطرف بكما الحوار بعيدا عن الهدف، وتتعثر أقدامكما معا في الطريق نحوه.

هذه الطريقة يتبعها السياسيون والمفاوضون، ويعلمنا الإسلام أن نتبعها.. دون أن نخرج عن دائرة الالتزام بقواعد الإسلام وأخلاقه.

**٣- من الإخلاص أن تطمئن على المسئولية بعد تركها وأن تهيئ لها الشخص القادر على النجاح فيها، وأن تنقل خبراتك للآخرين بأمانة وصدق ( العباس يجري حوارا طويلا للتأكد من قدرة الأنصار على حماية الرسول ﷺ من بعد حماية أبي طالب له ).**

لا يكفى أن تكون مخلصا في عملك متفانيا فيه، حتى تحقق له النجاح المنشود، بل ينبغى عليك أن تنقل خبراتك لجيل قادم سيتولى المسئولية بعدك، وبذلك تستمر الرسالة ويستمر النجاح، فلن يخلد أحد في مكانه، وعلى المسئول في أي مكان، أن يطمئن أن وراءه من يستطيع أن يكمل مسيرة النجاح.

هذه الفكرة أيضا تنطبق على تربية الآباء للأبناء لخلق جيل قادر على تحمل المسئولية.

لذلك رفع الإسلام من قيمة من يعلم الناس الخير، وأخبر الرسول ﷺ أن الحيتان في بطن البحر تسلم عليه؛ لأن احتكار العلم يعنى توقف المسيرة وتوقف الحياة وتوقف النجاح، فهو وسيلة نقل الخبرات للآخرين، حتى يتعلموا على أسس سليمة يستطيعون بها أن يكملوا ويطوروا ويبدعوا.

في مجتمعاتنا أيضا مشكلة في هذه النقطة، فكل من يعرف شيئا يتعمد إخفاء ما يعرفه عن غيره..

إن هؤلاء لا يفكرون في المستقبل، يفكرون في وقتهم وأنفسهم وأماكنهم فقط.

**٤- الرسول ﷺ يحلل المواقف ويحترم الدوافع التى تدفع الناس للتصرفات، ولا يحكم على الجميع حكما واحدا في نفس التصرف ( الرسول ﷺ يأمر بعدم قتل بعض المقاتلين من قريش؛ لأنهم خرجوا مكرهين ) .**

اجتهد أن تعرف ما هوالدافع الحقيقى وراء تصرف شخص ما تصرفا معينا، فعندها.. تستطيع أن تحكم عليه بطريقة عادلة، والرسول ﷺ في غزوة بدر علم أن هناك من خرج للقتال مكرها، فلم يشأ أن يعاملهم معاملة من خرج يريد قتل المسلمين والقضاء على الإسلام.

لو أمكننا معرفة دوافع التصرفات لاختلف حكمنا على الأشخاص، ولأصبح حكمنا على الناس أكثر عدلا وحكمة ورحمة، وربما نصنف شخصا ما على أنه عدو.. وهو على بعد خطوات لأن يكون صديقا.

**٥- العدل لا يتجزأ.. فتطبيقه واجب على الأعداء كما يطبق على الأصدقاء ( الرسول ﷺ يأمر**

**بتخفيف وثاق جميع الأسرى بعد أن خفف أحد الصحابة وثاق عمه العباس ) .**

خفف أحد الصحابة وثاق العباس عم رسول الله ﷺ إكراما له، ولم يشأ الرسول ﷺ أن يقال: إنه ميز عمه على حساب الآخرين؛ لأن دوافع الحرب عند المسلمين هى نشر رسالة القيم التى لابد أن تصل للجميع، حتى وإن كانوا في معسكر الأعداء، فالعدل لا يتجزأ.. ولا ينبغي أن أعدل بين المسلمين، ثم أحابي أسرى المشركين بدعوى القرابة.

إن الإسلام يعلمنا أن قيمه لابد أن تعلو كل قرابة وكل مصلحة، وأن حب الله والرغبة في رضاه، لابد أن يطغى على أي حب.. مهما تكن الصلة والقرابة.

والفكرة التى تقوم على العدل فكرة قوية لا يمكن أن يزحزحها أحد، وعندما تبدأ منظومة العدل في التهاوي تتهاوى معها الفكرة نفسها، ويبدأ أعضاؤها المؤمنون بها، في فقدان الولاء لها شيئا فشيئا، فيضعف الانتماء.. وتبدأ النهاية.

* * *

obeikandl.com